الأماكن الجغرافية
في حياة الملك عبدالعزيز(*)

أ. عبدالله بن محمد بن خميس

وكنت متى قوم غزوني غزوتهم
فهل أنا في ذا يالهمدان ظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارماً
وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

هذا هو عبدالعزيز وحّد شمل الجزيرة بعد تفرق، وآخى بين أهلها بعد عداء، وأمّنها بعد خوف، وجعلها تعيش بُلَهنية من العيش وخفض من الرخاء، كل ذلك بالله ثم بعبقريته النادرة وشخصيته الفذة.

ولقد يطول الزمان وما أُنجب مثل عبدالعزيز :

هيهات أن يأتي الزمان بمثله
إن الزمان بمثله لبخيل

أقول : بعد أن وحّد - رحمه الله - شمل الجزيرة وأمّنها وجعلها تعيش في رغد من العيش، كان له أن يستريح ويتمتّع في بعض الأماكن التي أحبها واستأنس لها في جزيرة العرب، ومنها رياض اليمامة.

الملك عبدالعزيز في رياض اليمامة

عاش الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في رياض اليمامة الغناء

(*) ألقيت المحاضرة في يوم الأحد ١٤١٧/١٢/٢٧هـ ضمن الموسم الثقافي للدارة.

أزمنة طويلة قضاها في ربوعها ومعالمها وأعلامها حينما تزدهر وتزداد نضارةً وتتبرج حسناً وجمالاً.

فيا سائلي عن نجد أو عن رياضه
فديتك هذا بعض ما في ربى نجد

هذه روضة التنهاة وروضة خريم وروضة الخفس وروضة البجادية تراها متبرجة حالمة متأنقة يعجبك منها رونقها وجلالها وجمالها وخضرتها ونضرتها وروائحها الفواحة وزينتها المتأنقة العطرة :

حُييتِ يا روضةَ التنهاةِ زاهية
بابنِ السعودِ المليك الأوحد البطل
لما أطلَّ لمحتُ الغيبَ يأذنُ لي
بنظرة من جلال الأعصر الأول
أبصرت ما حدّث التاريخُ مجتمعاً
عن الصحابةِ والإسلامِ في رجل

لقد عشت مع الملك عبدالعزيز في رحلاته في التنهاة وخريم والخفس والبجادية، ولقد كان لي في هذه الرحلات شؤون وشجون وكان لي فيها ذكريات.

أذكر منها أنني كنت يوماً هابطاً الرياض مع بريد الرحلة، ومكثت في الرياض مدة وعدت مع البريد، ولمّا كنا بقرب جبل أبي مخروق، وكان الوقت ليلاً، وإذا ضبع أمام السيارة، ولم يكن في الركب من يحمل سلاحاً غيري، فجعل قائد السيارة يراوغ الضبع، واتفقت معه على أن أرميه، وفعلاً رميته فأصبته فمات، وحمله السائق في السيارة، ولمّا أصبح رمى به في مخيم النساء، وجعل الناس رجالاً ونساء يغدون ويروحون على هذا الضبع، وجاء أميرنا فهد بن سعد

- رحمه الله - وكان يبيت عند زوجته العنود بنت عبدالعزيز، يخبرنا عن قصة الضبع والتفاف الناس حوله أفواجاً، ولم يكن يعلم أنني أنا الذي قتلته، وكانت القصة والحديث في الضبع، ولم أخبر الأمير بأن قاتل الضبع هو أنا، وكان حديث المخيم ذلك اليوم الضبع وقائد البريد.

وروضة التنهاة من النهاية؛ لأنها تنتهي إليها أودية كبيرة تصبّ فيها من قمة العرمة، ذكرها ياقوت فقال : " موضع بنجد قالتْ صفية بنت خالد المازني - مازن بن مالك بن عمرو تميَم - وهي يومئذ بالبشر من أرض الجزيرة تتشوق أهلها بنجد، وكانت من أشعر النساء:

نظرتُ وأعلامٌ من البِشرْ دونَها
بنظرة أقنى الأنفِ حَجْنِ المخالب
سما طرفه وازداد للبرد حدة
وأمسى يرومُ الأمرَ فوقَ المراتبِ
لأبصرَ وهْناً نارَ تَنْهاةَ أوقدَتْ
بروْضِ القطا والهَضْبُ هَضْبُ التناضب
ليالينا، إذ نحن بالحزن جيرة
بأفيح حُر البقل سهل المشاربِ
ولم يحتملْ، إلاَّ أباحَتْ رماحُنا
حمَى كلِّ قومٍ أحرزوهُ وجانب

وتنهاة هذه روضة من أجمل رياض نجد وأخصبها وأطيبها نبتاً وأحسنها موقعاً، يدفع بها أربَعة أوديةٍ من أكبر أَودية (العرمة)، وأهمها هي من الجنوب (الطّيْرِي) بروافده الكثيرة، ويليه من الشمال

(العَـتِّكِ) وشـمـاليـه (الشّـوْكِي)، وآخـرُها مـن الشـمـال (الودي)، هـذه الأوديةُ تنصب من قمة (العَرَمَة) مشرقة وتفرغ في هذه الروضة في حضن الدهناء حيث يلتف سدرُها وتنضبُهُا وطلحها وجثجاثها وشيحها وقيصومها أبد الدهر وحيث يختلف نُوارُها، وتصدح أطيارُها ويختلط نفلها وحرفها وكرشها ورقمها وحوذانها، وكل نبت طيب بها إذا جادها الغيثُ وباكرها وسميه.

تمتد هذه الروضة من الشرق إلى الغرب حيث مفاجرُ الأودية التي تدفع بها، وتمتد حولَها من الجنوب والشمال ذيولُ الدهناء تشكل حبالاً متطامنة وصياهد وأجارع ودكادك، يتخللها من الشمال سواق تفضي إلى رياض صغيرة تسمى : (الخَـوَابي) جمع خابية، وهيَ مستقر الماء أو الروضة الصغيرة لا تُرى إلاّ من قرب، فكأنها مختبئة بها، ما بالروضة الأم من شجر ونبت وجمال تمدها هذه السواقي بما تفيضه عليها مياه الروضة، وتزيد هذه الخوابي وهذه السواقي وهذه الحبال الرملية تتخللها، تزيدها متعة وجمالاً، ولذا كانت متنزهاً مفضلاً للملك عبدالعزيز آل سعود يقيم بها شهوراً أيام الربيع فخيامه مبثوثة في جوانبها، يتجمع حوله شيوخُ القبائل ورجال العرب بادية وحاضرة تراهم يكتنفون هذه المضارب على شكل ندوات وأندية يتطارحون أحاديث الشجاعة والفروسية، ويتجاذبون من قصصِ العرب أحلاها وأمتعها، وينشدون الأشعار، ويتناقلون الأخبارَ، والزيارات بينهم متبادلة، والكلفة بينهم مطروحة، وهنالك خيمة على رأس رابيةٍ رملية تحيط بها الخيامُ عن بعد إحاطةَ السوار بالمعصم، هذه الخيمة تستقبل كل يوم موكبَ الملك عبدالعزيز مرتين من حين ترتفع الشمس ويعتدل الضحى إلى ما بعد صلاة الظهر، ومن بعد صلاة العصر إلى حوالي الساعة الثامنة بعد الغروب، وتفتتح هذه الجلسات وتُختتم بالقراءة في أمهات كتب التفسير والتاريخ والأدب، ويستمع بعدها إلى نشرة إخبارية معدة بآخر أخبار العالم، ويفيض

هذا المنتدى الشائق بعدئذ بشتى أطراف الأحاديث المفيدة البرئية، ولا يخلو من وفود جاؤوا من داخل البلاد أو خارجها يحفهم اللّطف والإكرام وتحيط بهم الهيبةُ والوقار، ومنهم مَنْ جاؤوا يحملون هداياهم مما تنتجه ماشيتهم أو تنبتُه أرضُهم لتقبل الهدايا، ويعودوا بُجْرَ الأيدي طيبي النفوس.

كانت هذه المشاهد تتكرر حيناً في هذه الروضة، وحيناً في روضة (الخَفْس)، وحيناً في روضة (خُرَيِّم)، وحيناً في غيرها، وآخر مشهد حضرتُه في هذه الروضة هو عام ١٣٥٩هـ، وكنت يومها شاباً لم أثّغر بعد. وجاءتْ حينذاك طائرة - أولُ طائرةٍ تقتحمُ أجواءَ هذه المناطق - تقل السيد نوري السعيد، ليفاوض الملك عبدالعزيز في قضايا تتعلق بشؤون البلدين نتج عنها معاهدة حل قضايا عشائر الحدود وُقِّعت في صفر عام ١٣٥٩هـ، فاستقبل منبسط روضة التنهاة الغربي هذه الطائرة، وخرج بعض ساكني المخيم لاستقبال الحامل والمحمول، وآخر النهار امتطى الأمراء هذه الطائرة، فحلقت بهم في أجواء التنهاة وما حولها، وكان حديثهم : كيف تحركت ؟ وكيف طارتْ ؟ وكيف هبطت ؟ وكيف شاهدوا أرض التنهاة وما حولها؟ وما دار في خلد أحدهم أن هذه البلاد ستملك أسطولاً جوياً لا يوجدُ له مثيل في شرقنا كثرةً وحداثةً واستعداداً، ولله في خلقه شؤون.

ما دار في خلد أحدهم أن هذه البلاد ستملك أسطولاً جوياً لا يوجدُ له مثيل في شرقنا كثرةً وحداثةً واستعداداً

تبعدُ روضةُ التنهاة عن الرياض نحواً من مئة وخمسين كيلاً جهة الشمال الشرقي، وهي من متنزهات الرياض ومرتَبَع أهله، وإياها عنى عجران بن شرفي السبيعي الشاعر الشعبي بقوله :

حتيش يا بن فهيد لو صار كشاف
بارق خريف في ديار مصدة

عسى الحيا يسقى لنا وادي الغاف
ومن روضة التنهاة لخريم حدة

وفي التنهاة صبَّح ابن رشيد قبيلة سبيع، وكان يوماً مشهوداً تذامر فيه السبعان حول مضاربهم وقطعانهم، وأخذ ابن رشيد ما أخذه منهم وانصرف.

وتطل على روضة التنهاة من الشرق أنقية بارزة تسمى (الزَّبَار) وتسمى (العَدَام)، منها : (عُدَيّمَات مَاجد) ومنها (الكَنّاسيّة) وحبلها المستطيل شرقيها يقال له : عِرق المتايية.

وشمال الروضة بعيداً عنها نقي أحمرُ قان يضاف إلى التنهاة، وكثيراً ما يصغر فيقال : نُقَيّ التنهاة، لا يرى من باطن الروضة ولكن من قبلها أو من بعدها من المرتفعات التي حولها.

ولقد ذكر الشاعر الكبير فؤاد الخطيب (التنهاة) في ثلاثة أبيات مدح بها الملك عبدالعزيز إبّانَ وجوده في التنهاة متنزهاً، قال :

حيُيتِ يا روضة التنهاةِ زاهيةً
بابنِ السّعودِ المليك الأوحد البطل
لما أطلَّ لمحتُ الغيبَ يأذنُ لي
بنظرةٍ من خلال الأعصرُ الأولِ
أبصرتُ ما حدّثَ التاريخُ مجتمعاً
عن الصحابةِ والإسلام في رجُل

وذكرها حمود الناصر البدر في قصيدة له قال :

إن سال عنا في جنان تجارا
ما همنا كيل المشارع والأسعار

في وسط ربع زايف بالخضارا
في روضة التنهاة نقضي بها أوطار

وهناك روضة أخرى تدعى : (روضة التنهاة) شمال المملكة غرب بلدة (بيضا نثيل) وبين (جبل سرمدا) جنوباً و (العماير) شمالاً. انظر معجم شمال المملكة.

روضة الخفس :

وروضة الخَفْس بفتح الخاء، وإسكان الفاء، فسين، فيه قلب، وأصله الخسف، وهو الانكسار في قشرة الأرض في حيِّز معلوم منها، وهذا أصبح علماً على خسف بجانب (العَرَمَة) تستقر فيه السيولُ وتبقى مُددًا طويلة، ويرده الناسُ لسقيا ماشيتهم، ويتزوّدون منه بالماء إذا أقاموا حوله للارتباع أو إذا مروا به. ولقد كان خسفاً واحداً، ومنذ سنين قريبة وبعد أن أخذ الأول يندفن انخسف بجانبه آخر مثله، فأصبح يستقبل كميات من مياه السيول كبيرةً حتى الآن. وقد تقدم لنا في رسم جبل (الجُبَيْل) تسجيل ظاهرة الانكسارات على سمت واحد من الجنوب إلى الشمال، منها هذا الخسف وخسف (هيِّت) وخسف (دِغْرَة) و (الخُفَيْسة) وهكذا، وهي تتوسط منطقة اليمامة.

وهذا الخسف يقع في قاع جلد تنتثر حوله شجيرات الرمث، وهو يقع بين روضتين كبيرتين تضافان إليه، فيقال : روضتا الخفس، أو روضة الخفس الجنوبية وروضة الخفس الشمالية، وفوَق الشمالية منهما مروجٌ ومغائض وقريان أشبه بالرياض، فالخفس (المنطقة) مستقر ومستقبل لأودية عدة، كلها تدفع فيه ثم لا تخرج منه أبداً، وتنقلبُ أرضُه خضراء مورقةً مونقة كأطيب ما تكون الأرض، وأخصبها وأكثرها بهجةً ومنظراً جميلاً ورائحة عبقة؛ لهذا فإن الملك

عبدالعزيز - رحمه الله - كان يتخذ من الخفس مرتبعاً، ويقضي فيه أوقاتاً طويلة ينزل بين الروضتين في ما استرقَّ من رمل (الرّثَمَة)، وارتفع عن مستقرات السيول، وسلم من عثير الغبار وطين الأرض لتكمل المتعة ويطيب الأنس ويحلو المرتبع.

كنت في رفقته عام (١٣٦٠هـ) وأنا شابٌ حدَث والعام عام خصب يسمى عند أهل نجد (عام جَبّار) لم أعهد العشب يتكوّن ويغلظ ويرتفع مثلما عهدتُه ذلك الزمان. أراد الملك عبدالعزيز في مرتبعه هذا أن يُمتِّع أكبرَ عدد ممكن من وجوه قومه وعلمائهم وأدبائهم، فنوّع السرادقات وخصَّ كلّ طائفة بواحد منها، فهذا مخيم العلماء، وهذا مخيم أهل الحجاز، وهذا للوجهاء وأمراء العشائر، وكان لكل منهم جلساتٌ معه ممتعةٌ ضاحكة مستأنسة، سجّل طائفة منها الأَستاذ الشاعر (فؤاد شاكر) في كتاب أسماه "رحلة الربيع"، وحلَّى طرته بهذا البيت :

فيا سائلي عن نجد أو عن رياضها
فديتك هذا بعض ما في ربى نجد

طبع عام ١٣٦٥هـ وصدّره كاتب العربية الكبير عباس محمود العقاد، ويقع الكتاب في (٢٥٠) صفحة من القطع المتوسط، في هذا الكتاب وصفٌ للخفس وأيامه ولياليه ومجالِس الأدب ومطارحات الشعر ومساجلاته ومسامراته، وفيه حوليات وتحيات ولقطات من وحي الخفس ورياضه، وإن كنا نأخذ على مؤلفه - رحمه الله - عدمَ الدقة في أوصافه الجغرافية للمنطقة، ولكنه مطرب وما على مطرب أن يعرب.

ومنطقة الخفس عبارة عن بطن ممتد من الجنوب إلى الشمال بما تقرب مسافته من خمسة وعشرين كيلاً طولاً في عرض خمسة أكيال في المتوسط، وهو واقع بين جبل العرمة السامق الأشم وقبالة

أطول قممه وأسمقها حيث الأنوف المتأبية الفارعة (أنف نُفَيْخ) وأنف (الطّوّقي) وأنف (الرّماديات) و (عقبة ابن سُوَيْط)، وغير ذلك. يقع الخفس بين هذا شرقاً رمل (الغَيْنَة) (نَفود بَنْبَان) و (خشم الرَّثْمة) غرباً.

ويسيل في روضته الجنوبية (وادي مَلْهم) وروافده، يدفع فيها من الناحية الغربية ويدفع فيها من الناحية الشرقية أودية وجه العرمة التي تليها، وهي : (وادي نفَيْح) و (وادي الطّوّقي) و (وادي العُمِي)، وكلُّ هذه الأودية تستقر في روضة الخفس الجنوبية، ثم لا تخرج منها أبداً مهما كبر السيل وكثر.

أما الروضةُ الشمالية فيصب فيها (وادي دَقَلَة)، وهو وادٍ كبير وبعيد المدى، و (وادي أبو عَوَيْشِزة) وروافده بعد أن تمتلئَ روضته، وكذلك يصب فيها شعاب وجه العرمة التي تلي الروضَة الشمالية، وهي : (شعب الخُوَيْبية) و (شعب السّلّحيّات)، وإذا طغى الماءُ في الروضَة الشمالية اندفَع إلى الروضة الجنوبية.

ويُعد الخفسُ مرتبعاً لأهل العارض؛ لهذا فهو لا يُزرع ولا تُستغل أرضه الطيبة الواسعة في الزراعة مثله مثل (روضة التنهاة) و (روضة خَرَيْم) و(روضة الجنَادِريّة)، وهكذا.

ويقع الخفس شمال الرياض، ويبعد عنها بما تقرب مسافته من ثمانين كيلاً، ويؤدي إليه طريقان : طريق الرياض (الثّمَامَة)، وطريق الرياض (رُوَيغبّ)، والأول أقرب.

ولقد كان الخفس منطقة تجمع لغزوتين مشهورتين : الأولى حينما أخذ الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود يستجمع قوتَه وغزوه لمساعدة أهل القصيم على ابن رشيد يوم (المليدا) فقضي الأمر قبل أن يصل الإمام عبدالرحمن، والثانية حينما أراد الملكُ

عبدالعزيز فتح الأحساء خَيّم على الخفس واستدعى بادية المنطقة خصوصاً (العِجْمان) وواعدهم في منطقة غرب العارض ليوهمهم أنه يريد بغزوته نجداً ليسلم مما عسى أن يقع من هؤلاء الأعراب الذين يزعمون أن الأحساء خاصة بهم، وحينما علم أنهم تجاوزوه إلى منطقة الوعد باغتَ الأحساء على غرة وافتتحها، وفي ذلك يقول الشاعر عبدالرحمن البواردي، وكان في جيش الملك عبدالعزيز أميراً على أهل الوشم، قال :

يا مزنة من بطين الخفس منشاها
ترعد وتبرق ومن رعادها خيفة
كل يطالع بعينه وين ممشاها
وإن الله اللي يصرفها بتصريفه
هلّت على عسكر السلطان من ماها
يوم أنها جت مقادمها على (السيفة)
دار لنا يوم جيناها وليناها
راح الكمندار منها خارب كيفه

ومن قصيدة وجدانية للأمير فهد بن سعد، يذكر فيها الخفس، فيقول في مطلعها :

الخفس ماله خانة ومكشاته
أودع ظعون الخيرين اشتات

أما نافع بن فَضْلِيّة جليسُ الملك عبدالعزيز وأنيسه، فهو راويةٌ فَكِه وشاعرٌ مازح، شاهد وهو مع الملك عبدالعزيز أيام متربعه بالخفس، شاهد بقرة تذرع روضة الخفس جيئةً وذهاباً ولا تبالي بمن

حولها، فقيل له هذه بقرة (مَضَاوي) بنت الملك عبدالعزيز الصغيرة المدللة، فارتجل هذين البيتين :

عينيك يا بقرة مضاوي
أرعي وحنا من وراك
الخفس ما هو لك حراوي
مير الملك طول خطاك

المداخلات

د. عبدالرحمن الشبيلي :

أود أن أشير إلى تقصير بعض الجهات الرسمية في التعريف بهذه المواقع وغيرها؛ إذ تجد المرء يمر ببعض هذه المواقع دون أن يشعر بها، مثل روضة الخفس وروضة التنهاة ونحوهما. وقد اقترحت لوحات تعريفية بتلك المواقع. وإني لأتمنَّى من الجميع أن يدركوا أهمية هذه الأماكن التي ارتادها الملك عبدالعزيز رحمه الله، وأن يأخذوا فكرة عنها، ولا سيما أنها في منطقتهم.

ولدي سؤالان عن الملك عبدالعزيز - رحمه الله - أكان له شيء من الشعر في الخفس أو التنهاة أوغيرهما من الأماكن التي ارتادها؟ وهل كان يرتاد مناطق أخرى في شمال المملكة وشرقها ؟

الشيخ عبدالله بن خميس :

لا بد أن الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يرتاد عددا من المواقع الجيدة وقت الربيع عند تنقلاته، لكن هذه المواقع كثر ارتياده لها لقربه منها وإحاطتها بالرياض التي يقيم فيها عادة.

وأما ما تفضلت به من السؤال عن الملك عبدالعزيز - رحمه الله - هل له شيء من الشعر في الخفس أو التنهاة أو غيرهما ؟ فالجواب: أني لا أعرف شيئاً قاله الملك عبدالعزيز عن هذه الأماكن.

د. محمد آل زلفه :

أقترح أن يجمع الشيخ ابن خميس ما كتبه عن الروضات التي ارتادها الملك عبدالعزيز رحمه الله، وأن يؤلف كتاباً عنها، يتضمن حصرها، وتحديد مواقعها، وخرائط لها، وجغرافيتها، ثم يذكر البرنامج اليومي للملك عبدالعزيز فيها؛ لأنه كان يقضي فيها شهوراً يستقبل فيها السفراء، ويصرف أمور الدولة.

د. محمد الربدي :

هل سيتوسع الشيخ ابن خميس في الحديث عن الأماكن التي ارتادها الملك عبدالعزيز خارج مدينة الرياض؛ لأنه من المعروف أنه كان يرتاد أماكن خاصة في القصيم ومكة ونحوهما ؟ وهل من المتوقع أن يكون هذا مشروعاً من مشروعات دارة الملك عبدالعزيز التي تعنى بتاريخ الملك عبدالعزيز والتي نظمت هذه المحاضرة ؟

الشيخ عبدالله بن خميس :

لا شك أن للملك عبدالعزيز صولات وجولات في أرجاء المملكة الطويلة الوسيعة، ارتاد فيها الروضات في الأحساء والجنوب والشمال، ولا شك أنه عرف عنها ما لم يعرف غيره، لكني اقتصرت على الحديث عن الروضات الأربع في منطقة الرياض، وبخاصة روضة الخفس وروضة التنهاة.

د. عبدالله العثيمين :

تساءل البعض عن قول الملك عبدالعزيز الشعر وخاصة بعض الأبيات التي منها " ورد وهن هيت "، وسُئل شلهوب و كان قريباً من الملك عبدالعزيز في مقابلة تليفزيونية أجراها الدكتور عبدالرحمن الشبيلي عن تلك الأبيات فقال : إنها ليست له، وإنما كان الملك عبدالعزيز يرددها كثيراً فظن بعضهم أنها له، وهي في الحقيقة ليست له.

الشيخ عبدالله بن خميس :

من المعروف عن الرواة أن تلك الأبيات للملك عبدالعزيز. (*)

(*) تقوم الدارة بتحقيق هذه المسألة، وسيتم نشر ما تتوصل إليه في حينه.